

المسافر

سيدة النجاة

نبذة في تاريخها ومعجزاتها

لاب لوبس شيخو السوي

اذا ما قطمت سواحل بيروت فادركت قرية انطلياس ثم ترقلت اعالي لبنان ميماً شالته الشرقي بلغت بك العجسة بعد ساعتين الى ربي تكللها اشجار الغار وعبء عليها الصنوبر ظلّه الظليل فالبحال تلوح لاعتينك مناظر فتانة ومشاهد تأخذ بالصر قفري من عن شمالك وادياً بعيد الترد تنحدر في اعماقه يدري عظيم مياه نهر الصليب كأنها تصيح بالويلات قبل ان تتدهور في الهوة وتثب ورتبها الاخيرة في مضيق نهر الكلب اما على منعطف الجبل قفري بلدة بيت شباب تندمج جدران يورتها البيض وآبر - طرحها الحمر بخضرة ايكها ونضارة مزدراعتها وهي على شكل نصف دائرة يركب البعض منها في اعناق البعض كأنها جبار ينتصب لیسند قرية اخرى يحلها بين ذواعيه ليعرض محاسنها على مقاطعتي اللت وكسردان يينا يحدق بها من روانها لبنان باخاديدو الجرداء ويشرف عليها بقسم ذات الثلوج النراً. وليست القرية هذه سوى بكفياً منزل الحسن والهباء كما دعاها بعض السياح مشيراً الى معنى اسمها (١٠) ولا تكبير ان بكفياً تـ نالت من كرم الخالق وسخا الطيبة ما لم ينأه غير قليل من قري لبنان فان موقعها في اعطاف الجبل اجداها منافع السهول ومرافق الجبال معاً من برودة النسيم

(١) كأنه اشتغا من حبه قلماً اي الجيلة والاصح انما مشتقة من حبه كلفنا اي كلبرة الحجارة

وعذوبة الماء. الزلال وكثرة الأشجار ووفرة الثمار وبهجة المناظر تسرح العين فيها على مدى
 البصر ويأنس القلب لا ياقاهُ بياضها من التردد
 لله بكفياً وحسن ربها سبحان من جمع المناجىها

على أن الله لم يتبرع على هذه البلدة الميسونة بمثل هذه المواهب الطبيعية والذمم
 السنية لتكون فقط منزلاً جاءماً لأسباب الهناء. لكنهُ اصطفاها لغاية اسمى لتكون
 مقاماً لسلطانة السماء. فتضع فيها سكانها بين قوم يهدون التعمد لها فخراً والبراذ
 بذراها عزاً ونصراً. والحق يُقال ان بكفياً دون العذراء. لم تتل ما نالت من النجاح ولم
 ترق لولاها أول معارج التقدم والفلاح كما سيظهر لك جلياً بما ستذكر في خلال هذه
 اللمة الوجيزة

١

لم نثر بكفياً على ذكر في التاريخ قبل اواسط القرن السادس عشر وان كان
 وجودها قبل ذلك العهد امرأً محتملاً بل نظنهُ اقرب الى الواقع. ومما جاء في تاريخ
 العلامة البطريك اسطفان البوري ان آكل الجبيل انتقلوا الى بكفياً سنة ١٥٤٥ من قرية
 جاج في بلاد جبيل فكنوها وصار لهم فيها بدمدة نفوذ وسيطرة وفي سنة ١٥٨٧
 عُني منهم الخوري اخرون الجبيل ببناء كنيسة مار عبدا. فاقضى به المكيون وانشأ الخوري
 عيسى من بيت الخراط كنيسة لطانفتة الماكية (١٠). وكانت بكفياً تحت ساطة الامراء
 اللبيين. وقد بقيت خاملة الذكر لا يكاد المؤرخون يذكرون لها اثرأ. ماثرأ الى قرب
 منتصف القرن المنصرم. ولعل خمولها وعزتها فوق درابي لبنان وبين ادغاله نجياها من
 آفات الحروب وصرفا عنها تكبات الدهر العذوب كان الله عز وجل اعدّها لتكون
 رباً تحل فيه سيدة السلام وتبسط عليه ظلاً دارقاً من الفضل والانعام
 أول من احيا بكفياً واستلفت اليها الابصار انما هو ذلك الامير الهام صاحب
 الجاه الواسع والكرم الفناض حيدر اسمعيل اللعي فانه كان يسكن اربلاً في قصر
 جميل ابتناه له في صلبا ثم احتل بكفياً واستطابها وجعل فيها سكاناً. فارتب البلدة
 بوجوده مركزاً مهياً وتحمفت حالها واتسعت دوائر اعمالها

وفي غضون ذلك عاد الى سرديّة الرسالون اليسوعيّون في صحبة الطيب الذكر السيد مكسيوس مظارم قبل ارتقائه الى السدّة البطريركيّة في أواخر سنة ١٨٣١ وكانوا ثلاثة الاب بولس ريكادونا الإيطالي الرئيس الأوّل لرسالتنا الجديدة في سرديّة ومنشئاً أخرىة راهبات قلب يسوع. ثم الاب مبارك بلانثيه الذي رتقي الى مقام قاصد رسولي على بلاد ما بين النهرين سنة ١٨٤٨ ومات سنة ١٨٥١ قتله بعض غزاة الاكراد في طريقه قريباً من سوريك بين ديار بكر والرها. ثم الاخ هنس وكان طبيباً نظامياً نال شهرة عظيمة بمعالجته حتى دعاهُ الامراء والشيخ ركباز الدولة لمداواة مرضاهم وهو يُعرف حتى اليوم باسم الاخ ناصر. فاقام هو والا. الثلاثة في عين تراز ستين ينتظرون افتتاح مدرسة اكليزيكيّة للروم الكاثوليك عهدت اليهم ادارتها. غير ان الاحوال لم تسح وقتئذٍ بإنشائها واضطرّ الآباء ان يطلبوا لهم منزلًا آخر يقيمون فيه. فاعلم الامير حيدر برغبتهم حتى دعاهم الى المقاطعات التي كان متولياً عليها وفوض اليهم ان يختاروا اي محل شاؤوا ليقموا فيه ديراً فوق خيارهم على محبة في بكفياً كان يسكنها سابقاً بعض النساك من الرهبان البديين فابتاعوها من رئيسهم العام بشن نجس وساعدهم في ذلك كاخية الامير حيدر الشيخ ميخائيل الحاج نصار من افاضل مراننة بكفياً وزاد آل يزيك من وجوه القرية على هذا الملك قطعة ارض كانت مجاورة للمحبة قدّمها للآباء كهبّة خاصّة. فشرع الآباء من وقتهم ببناء محل صغير كان أوّل ديرهم في لبنان بعد عودتهم الى سرديّة. وهو الدير الذي زيد بعدئذٍ على ابنتيه واتسع نطاقه حتى صار في عهدنا مركزاً مهياً لاعمال الرسالة في القاطع والتمت وما جاورهما

وبينا كان الاب وريكادونا منقطعاً الى عمارة الدير اذ ارسل الله له ماعداً يخفف عن عاتقه عبء الاشغال وهو الاب ريمند إنتاف الطائر الشهيرة في كل أنحاء لبنان. وصل الى سرديّة يوم عيد انتقال المندراء في ١٥ آب من سنة ١٨٣٤. وابدل اسمه فُوف باسم الاب سليمان. وكان برقتيه اخ ايطالي اسمه النجلو زمرسكي سلمه رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام عند خروجه من رومة صورة تمثّل البتول الطاهرة كان احكم صنعها بعض مشاهير المصورين في عاصمة الكثلثة (١)

(١) قد اختلف كنيّة رهبانينا في اصل هذه الصورة فهم من قال ان المرسلين الاولين اتوا بها من رومة وشهم من زعم ان الذي اتى بها هو احد الاخوة المساعدين وقال غيرهم ان الاب

فلما وصل المرسلان الجديدان الى بكنياً وكل الاب ريكادونا اليها تنمة بناه الدير ليتفرغ هر الى أعمال التبشير . فاخذ الاب سليمان بناه . معبد يقيم فيه اليسوعيون الرتب الدينية . فلما انتهى من عمارة أراد ان يزينه بالصور وكان تاريا ان يحصل المبد على اسم القديس فرنسيس راجيس اليسوعي الا انه ما كاد ينشر صورة مريم البتول امام الجمهور حتى جثا كل الحضور وشرعوا يلتمسون حماية المذراء باصوات الخشوع والعبادة القلبية . فتأثر لذلك الاب سليمان وللحال جعل صورة ام الله في وسط الهيكل مخصصاً لها المبد . وكانت هذه الصورة صغيرة منقوشة بالالوان على صفيحة من الزنك طولها ٤٠ سنتيمتراً في عرض ٣٠ سم تمثل هامة المذراء في زي من القنوت والتقوى يجلب القلب ويأخذ بجامع الابصار فترى البتول ناكحة الرأس مطرقة المينين جامعة يديها شأن الصلي وعلى رأسها تمار ذي طيات متمددة يغطي جبينها ويظهر من اسفله الايسر خصل دقيقة من شعرها . فقيل الاب سايان حين عرضها فوق الهيكل الكبير : انها صغيرة لا تناسب الهيكل لعمرها . فاجاب الاب : أجل انها صغيرة لكنها قديرة وفي قدرة حاجتها غنى عن كبر حجمها

٢

فد ذلك اليوم صار معبد دير الاباء اليسوعيين في بكنياً مزاراً تروثه الاهلون ويلتجئون اليه في حاجاتهم والاياهم بثقة لا تخشى خيبة وذلك ما حماهم على ان يطلقوا عليها اسم سيدة النجاة لما كانوا ينتظرون من شفاعتها المشعة من النعم والبركات

مكسليان (نصور) رأبو اهداها الى دير بكنياً . ذلوا انه لما عاد من سفرته الى بلاد ما بين النهرين باس الكرسي الرسولي دخل رومة لاسباً ثياباً شرقية فراه المصور الشهير بوردستي وكان وقتئذ يشغل بتصوير صورة حكم سليمان فطلب الى الاب بأن يرسم صورته في هذه الهيئة فيعمله بنام سليمان المسكهم فرضي الاب بشرط ان يصور له صورة المذراء المميده يأخذها ممة للرسالة السوروية . فابى الى طلبه وصور له احد تلامذته هذه الصورة العجيبة . (قلنا) ان هذه الرواية لا تنطق مع رواية الاباء الاولين الذين ذكروا صورة المذراء قبل عمي الاب ريلو الى سوروية بنحو ثلاث سنين اعني في سنة ١٨٣٩ . ١٠١ . الاب ريلو تقدم الرسالة سنة ١٨٣٦ ورحل الى بلاد ما بين النهرين في السنة التالية . ثم عاد الى رومة في كانون الثاني من سنة ١٨٣٧ . ولم يرجع الى سوروية قبل سنة ١٨٣٩ . ولله يمكن القول بان الصورة الاولى التي وضها الاب سليمان في سنة ١٨٣٢ هي غير الصورة الحالية التي اتى بها الاب ريلو فأبدلت منها . وانه اعلم

وفي هذا المبدع باشر الاب سايجان سنة ١٨٣٥ لآكرام البتول عبادة حديثة العهد في كنانس الغرب لم يكن يعرفها الكاثوليك الشرقيون وهي عبادة الشهر المريي فاخذ يجمع المؤمنين كل أيام شهر أيار ليقدموا للسيدة الطاهرة ضروب الاعمال التقوية والتعبيدات. وكان الاب مع قلة معرفته باللغة العربية يرشدهم ويحثهم على الاقتناء بآثار ام الله وفضائلها فانشرت هذه العبادة اي انتشار حتى عنت اليوم جميع أنحاء المشرق وبقيت الصورة في ذلك المبدع نحو عشر سنين يتوارد اليها المؤمنون ويكرمونها غاية الاكرام ويزينونها بانواع الزهور ويقدمون لها الحلوى وينذرون النذور حتى سنة ١٨٤٥. فقي بد. ذلك العام كان الشتاء قارساً فتارت الانواء وعصفت الرياح وهطلت الامطار وبينما كان المؤمنون مجتمعين في ماء بعض الايام ليكرموا السيدة في مبدعها زادت العاصفة قوة فسمع في اعلى الكنيسة صوت مهول ارتعدت له الفرائص هلمك فرفع الحضور عيونهم الى صورة السيدة يلتسمون شفاعتها ثم تسارعوا الى الخروج ليروا ما الامر فما كاد آخروهم يتخطى عتبة الباب حتى هبط سقف الكنيسة واطلف المبدع بما فيه الأ صورة العذراء الطاهرة التي وجدت سليمة

فراى المراسن اليسوعيون في هذا الحادث الفاجع اشارة من سيدة النجاة الى ان يقيموا لها كنيسة اوسع فناء واحكم بنياً فحتموا للعمل في اوائل الربيع واستدروا حنات الزمنيين السوريين فكان اول من مد اليهم يد المساعدة القاصد الرسولي فرنسيس ثيلرديل وكان اذ ذاك نازلاً في ديرهم في بكنياً ضيفاً كريماً وكذلك اسرع الامير حيدر اللامي فدفع مبلغاً عظيماً من جيبه الخاص لهذا المشروع البرور وكان اهل البلدة الفقراء فضلاً عن الموسرين يتنافسون في الهبات لانشاء المبدع الجديد

اماً مهندس هذه الكنيسة فكان اخاً يسوعياً ايطالي الاصل بارعاً في فن البناء. اكتب فيه شهرة في بلده يدعى الاخ فردينند برناجينا (Bonacina) فارسه رئيس الجمعية اليسوعية من رومة الى سوروية ليسانس الرسولين في انشاء منازلهم فابتنى لهم دير غزير وكنيسة زحلة. ومن ابنته ايضاً في الجبل سراية الامراء اللميين في بكنياً وكنيسة مار عبا هرهرياً ومعامل حريرية لبعض الذوات. الا انه تأثرت في بناء كنيسة سيدة النجاة فجعلها من احكم اعماله. وكان الاخ المذكور يراعي في بنائه المتانة اكثر منه التفنن والبراعة وقد انجز عمله بعد خمس سنوات كان اضطر في اثنتانها ان يتقطع عن

الشغل مراراً لثة ذات اليد لكن الاهلين أبوا إلا ان ينجزوا كنيسة سيدتهم فكان اصحاب الثروة يتبرعون بهمهم واهل الفاقة بشغلهم وربما كانت النساء انفسهن ينقلن الحجارة من القالع على مناكين محتبات بذلك خيراً عند الله حتى تم هذا المشروع وفتحت الكنيسة ابوابها للمؤمنين في ليلة عيد الميلاد من سنة ١٨٥٢

فكان كل من يدخلها ينثي على العمل والعمل ويرى انها اجمل كنيسة بُنيت في لبنان وكان المذبح الكبير مزداً بالثقوش ووفرة صورة كبيرة تمثل البتول الطاهرة حامة بين يديها طفلاً الالهي وتحت اخص قدميها رأس الحية الجهنمية تحته ظافرة. أما صورة سيدة النجاة فشيدها المهندس هيكلًا منفرداً على عيني الهيكل الكبير في باحة الكنيسة بازا. مدخلها الشمالي. فزاد من ذلك الوقت تسبداً اهل بكفياً للمذراء الطاهرة فكتت ترى في كل ساعات النهار القوم يأتونها ويتقربون اليها بالصلوات والتذود

ثم امتد بعد قليل صيتها الى انحاء القاطع والمث وكسروان فكان الناس يحجرون اليها ويلتسسون شفاعتها ويذيعون عجائبها ويصلونها بالصلوات ويحبسون عليها الاوقاف. اما الآباء المرسلون فلم يدخروا وسماً في تنشيط تقوى المؤمنين وإغاثة الحب نحو والدة الله. وممن اشتهر منهم في هذه المساعي الخيرية بعد الاب سليمان الاب يوسف لاورد وكان هذا رجلاً صالحاً يتلهب غيره في نشر عبادة المذراء مريم التي كانت تعامله معاملة الام الحنونة لاجن اولادها وظهرت له مراراً بالبيان وانتشلت من خطر الموت. فلما سكن بكفياً أفرغ غاية جهده في تحمين معبدها وتزيين صررتها وقد نال من مراحها نساً لا يفي بها احصاء. فلا يبدأ عواطف الشكر نحوها خصوصاً بعد نجاة بكفياً بشفاعتها من عدوى الميضة التي فشت سنة ١٨٦٢ في جهات لبنان اقام فرق الكنيسة برجاً عالياً متقن البناء على الطرز النورطي جعل فيه قبة للجرس وكسلاً في اعلاه بمثال المذراء حامة بين ذراعيها الطفل الالهي وموجهة نظرها نحو القرية. فتم العمل في أواسط آب من سنة ١٨٦٨ ودشن في يوم عيد السيدة بما لا مزيد عليه من الابهة والروث فتولى هذه الحفلة القاصد الرسولي وحضرها الطيب الذكر المطران يوسف جمجع مع جم غفير من نخبة الاكليروس ووجوه الامراء والمشايخ. ومنع السيد الذكر البابا يوس التاسع غفران ١٥٠ يوماً لمن يمجي شخص البتول بهذه العاطفة: «يا سيدة لبنان تضرعي لاجلنا» هذا ولما كان بمثال المذراء من الحرف لم يقو على شدة الاتواء وهيجان الرياح

فاستبدله رئيس رسالتنا العام الاب امبروسوس مونو بستال آخر من القاز (الشبه)
 في سنة ١٨٧٦ اهداهُ بكفياً الاب دي داماس اليسوعي فصار لتدشينه عيد بهيج
 كالرّة الاولى . وهو الشخص الذي تقرّ لمنظره حتى اليوم عين اللبانيين من عدة مقاطعات
 وفي سنة ١٨٨٥ رأى المرسلون انّ تراحم الشعب عند هيكل سيدة النجاة يشو
 يوماً على يوم فاجمروا رأيهم على ان يوسموا هذا الهيكل ففتحوا القنطرة واتخذوا للهيكل
 سوراً منفرداً طوله ثمانية امتار في عرض اربعة منها وتولى هذا العمل الاب ثيودور ليهوون
 رهندهم على غاية الاحكام واستدعى محرزاً ماهراً يدعى مولد نقش على جدران
 المبد أسرار حياة المذراء . نقشاً دقيقاً بالوان ناصعة . ثمّ فتح له نافذتين زينها بالزجاج
 اللون . اما صورة المذراء . فيجعلها في كوة من الرخام الابيض ووضعه في جانبي الكوة
 اعمدة لطيفة الشكل وزّين اطارها بالزهور النابتة في الرخام . واقام من وراء الكوة في
 الجدار شخص السيدة على جانبيها ملاكان يقدمان لها الاكرام والتجاة

ومنذ نحو ثلاث سنين لحظ حضرة الاب ادوار ان الصور المنقوشة اتلفتها الرطوبة
 فاستبدلها بصفائح من الرخام الابيض التالي الشن ثمّ اكل الرئيس الحالي الاب
 استانيسلاوس شيخو هذا المشروع وسقّف بالرخام بقية المبد ورسم احد عملة بيروت
 الحاذقين على الرخام نقوشاً دقيقة وتصاريح متنة وآيات من الاسفار المقدسة مكتوبة
 بالخط البديع يد الكاتب الشهير علّام افندي علّام . ومن وراء الهيكل شعار سيدة
 النجاة محمّلة ملاكان وهو عبارة عن اكليل ملكي يعلو كوة مستديرة الشكل من
 الزجاج الاحمر يُقرأ من خلاله : « السلام عليك يا سيدة النجاة » . واقام امام المذبح
 درابزراً من رخام وصفح مقدّمته بالبلاط اللون

فصار معبد المذراء بعد كل هذه الاصلاحات والتحسينات محبباً بقربه المؤمنون مع
 ذكر ملكة السماء . كل ما من شأنه ان يزيدهم تعبداً نحوها واعتباراً لشخصها الكريم

٣

بقي علينا بعد وصف تاريخ سيدة النجاة ان نروي بوجيز الكلام ما سكته البتول
 الطاهرة من سجال النعم على بكفياً واهلها جزاء لهم عن عبادتهم ولو اردنا الخبر عن
 ذلك بالتفصيل لا كفى كتاب ضخّم وانما نجري بالقر القليل عن المسهب الطويل
 اذا دخل زائر احد ميوت بكفياً اول ما يشاهد في صدر المزل صورة سيدة النجاة

مخوفة بالشع والزهود كأنها ربة البيت اليها تتجأ الاحفاظ في كل أطوار الحياة. وان سألت ما الداعي لاصكرام هذه الصورة سمعت اصحاب المحل يعددون لك ما نالوه بشفاعتها من البركات وضروب الهبات فيطنبون على قدرتها ولا يرون نفوسهم الا اسرى معروفها ورحمتها

وفي حقيقة القول لا تجد في بكفيا بيتاً واحداً خلواً من مآثر سيدة النجاة نكم شفت من مريض أيس الاطباء. من حياته وكم دفعت من بلا. بمد ان قطعت جبال الآمال وكم نثقت من كربة كادت تحل بسببها الاحوال. وما اسمها الا شاهد ناطق على كثرة عجائبها كأنها اتخذت نجاة عابديها ديناً وجعلت المؤاساة اليهم ديناً واول من نال من مراحم البتول جزاء تعبدته نحوها ذلك الرجل المهام الذي رأيناه تسارع الى بناء معبدها وهو الامير حيدر اسمعيل اللسمي فان اعداءه كانوا نصبوا له الكمين وكبلوه بالاغلال ثم نفوه الى جهات السودان. ولما سمع بعض اخصامه يصلي يوماً الى سيدة النجاة في سجنه ضحك منه قائلاً: «دع عنك سيدتك فانها لا تنجيك من ايدينا». فما مرت عليه أيام قلائل حتى فسكت قيوده وعاد ظافراً الى منصبه رغمًا عن اعدائه فكسب الى خصه: «درتك ما صنعت من اجلي سيدة النجاة فاعرف قدرتها وأقر بفضلها». ولما كانت غرة كانون الثاني من سنة ١٨١٢ رقت الدولة العلية الى مرتبة قائمقام على مقاطعات لبنان من نهر ابراهيم الى آخر المقاطعات الجنوبية فصار له من النز والاكرام ما انساه كل محنة السابقة. وبقى في ولايته الى سنة وفاته ١٨٥٤ مات في صربا وكان طلب ان يدفن في معبد سيدة النجاة فنقل الى بكفياً وصار له مأتم عظيم وهو اليوم يرقد عند اقدام البتول التي كان خدمها اصدق خدمة قريباً من صورتها التي اعتاد ان يجثو امامها في حياته راكماً على الحضيض مصلياً بتقوى تؤثر في كل الحضور

ومن اختبروا نعم العذراء المجيدة في هذا المعبد والدة كان الله رزقها طفلاً بعد نذر ندرته لسيدة النجاة. فلما ترعرع الصبي أصيب بداء عياء لم تشجع به كل الوسائل البشرية فجاءت به أمه وهو في التراع والقت به على مذبج السيدة صارخة: «ايتها البتول هرذا ابنك الذي اعطيتنيه أتمسحين بوفاته هرخاصتك ها انا اضعه عند اقدامك ولا أعرد الى داوي حتى يشفى تماماً». قالت هذا وجثت على عتبة الكنيسة تذرف الدموع

السخينة وتصلي صلاة التراجع الكئيب. ثم قامت بعد هنيهة لترى ما جرى لابنها فوجدته نائماً والرق يكلل جبينه. وما لبث ان فتح عينيه متبجلاً لأمه وهو يتأم العافية ومنهم أيضاً كاهن فاضل يدعى الحوري فارس ابا حاتم أحيب بفالج أذاقهُ مدّة اربعة أشهر سرّاً المذاب فطلب ان يُنقل الى معبد سيدة النجاة. فما كاد يرى صورتها حتى صرخ اليها بايمان: «اشفيني ايها السيدة فانك لست بما جزة عن ذلك» فانتصب من ساعتِهِ وعاد الى بيته شاكراً لله على شفاةِ وكان وقتئذٍ عمره ٢٦ سنة ففأش بعد ذلك ست سنين

ومنهم ايضاً احد تلامذة مدرستنا الكليّة في بيروت اسمه ميشال اطرون كان مصرياً وحيداً لأمه جعل يتغل الدم حتى قنط الجميع من خلاصهِ فاسرع رئيس كليتنا الى بكفياً وجاء بالصورة المجانيّة وجعلها فوق رأس المريض فانقطع تريف الدم وقام مما قفى بعد زمن قليل فشكراً لهذه النعمة الجزيلة اهدت أمهُ للذبح سيدة النجاة كاساً غاية في الحسن ومنهم ايضاً احد وجوه بيروت ي.ك. شفي من حمى التيفوس منذ سنتين بشفاةِ سيدة النجاة التي يجاور معبدها الميسون بيت مصيفهِ في بكفياً

هذه أمثة قليلة نكتفي بذكرها وأما عدد النعم العجيبة التي نالها المؤمنون من حوز العذراء فيبلغ المئات تشهد عليها النذور التي ترين صورتها من أسورة وحلق وقلائد وأصناف الحلبي

يدان هذه النعم الممنوحة للافراد لم تكن لترضي ملكة السماء ولما كانت قد جعلت بكفياً كاهن تحت حمايتها لم تُرد ان تحرم من أطفانها احداً من اهلها. وقد ظهرت شفاة البتول نحو بنينا على ضروب شتى. فأتتها السيدة التي غمرت هذه البلدة بسوايغ نعمها فبلغتها شادراً أنظهما في سلك اكبر قرى لبنان بما فازته من الحصب والعمران ومن قابل بين حالتها اليوم وما كانت عليها قبل سبعين سنة لم يكده يصدق انها هي

التي وقد ظهرت حماية سيدة النجاة ظهور الشمس في سنة ١٨٤٠ لما دخلت الجيوش المصرية الى لبنان تحت قيادة ابراهيم باشا فان بكفياً كانت من جملة القرى التي بقيت امينة في خدمة الدرلة العلية فزحف اليها المصريون يريدون محاربتها وحرقت دورها. فبلغوا بيت شباب وأعملوا فيها النار ثم صدوا الى بكفياً وقلوبهم تتناظلي حنقاً على اهلها فاجتمع الناس في معبد العذراء يتوسلون اليها بان تخليص خاصتها فسمت البتول من

سرت عرشها أصوات نحيبهم فغارت قلب ابراهيم باشا الذي عدل عن عزمه ورجع بفتة دون ان يباحق بكفيا اذى. وكانت البتول استخدمت لنجاة قريتها خادما الاب سليمان الذي نال حظوة لدى قائد البعثة المصرية

ولم يكن خلاص البلدة اقل عجبا سنة ١٨٦٠ فان الاعداء كانوا تزلوا من التين بعد ان حوّلوا الضياع الجاررة الى قاع صهصف ولم يبق بكفيا ولاهاها امل في النجاة. فالتجأ المؤمنون كعادتهم الى سيدهم ولم يدعوا نوعاً من الابهال والتعبد الا توّسّلوا به. من ذلك ان حفيد الامير حيدر اللامي قدمت الكنيسة حافية وكنتها يدها ومسحت بشعر رأسها درجات مذبح السيدة فلم تصم البتول هذه المرة ايضاً مامعها دون صوت شعيا وتهتر الاعداء على نور. ولما سُئلوا عن سبب ابتعادهم اجابوا: قد رأينا فوق القرية امرأة بيّنة الصورة تشير اليانا بان نبتعد عن هذا المكان وتهدّدنا اذا خالفنا لها امراً

ولما كانت سنة ١٨٧٨ خاف اهل بكفيا من عدو آخر كان يهدّد ذرعهم وهو الجراد فان هذه الآفة المجهقة كانت ابتلت عدة مقاطعات وتجاوزت حدود القترح حتى بلغت الحارة عند حدود بكفيا فلاذ اهالها بالسيدة مستحرين بالصلاة فاذا بالريح هبت ونقلت الجراد الى مشارف لبنان دون ان تضر حتى المذراء بأذى

ولكن هها كانت هذه النعم جزية ليست عندنا بشي. اذا قابلناها بمواهب اخرى اعظم شأنًا جادت بها سيدة النجاة على بكفيا وهي المواهب الروحية فانه لا يخفى على احد ان هذه البلدة كانت في اسوأ حال قبل ان تجمل مريم سكنها في ظهرانها حتى ان المثل الجاري على ألسنة اللبنانيين كان يذب الى اهالها الكفر وفساد الاخلاق. فلما تزلت المذراء في جوارها كانت لها بمثابة الشمس تقشع امامها كل ظلمات الليل الدامس. فان التقوى والعبادة ازهرا بعد زمن قليل بين جميع اهل بكفيا. وبهئة الآباء المسلمين أنشئت الاخويات لكل طبقات الشعب وتهذب الصغار في المدارس وطلت العادات السيئة وسكنت الضغائن والفتن وقوي روح الايمان حتى ان اصحاب البدع سوا غير مرة لينفثوا سم تعاليمهم الفاسدة في بكفيا فادوا بجثي حنين وظفرت المذراء بهم كما ظفرت بكل اشياح المرطقات في انحاء المعمور ومن النعم المتازة التي اسبقها سيدة النجاة على بكفيا إنشاء جمعيتين اداً خدماً

جلية للدين والوطن ألا وهما اخوية راهبات الرميات وجمعية الاخوة الكسفاريين. أنشئت في بكفيا الاولى سنة ١٨٥٥ والثانية سنة ١٨٥٨ فكانت الراهبات ينقطعن الى تهذيب البنات في القرى وهذه الاخوية قد انضمت بعدئذ الى راهبات قايي يسوع ومرسيم اللواتي لا يزلن حتى الان يعطرن بلادنا بمير سيرتهن الصالحة واعمالهن المبرورة. اما الكسفاريون فكانوا يجولون القرى ليعلموا الصغار مبادئ الدين المسيحي ويرشدوا القرويين في واجباتهم الروحية

ولولا ضيق الجبال لذكرنا هنا تراجم بعض الصالحين الذين استقروا من ينبوع عبادة العذراء في بكفيا مبادئ الكمال المسيحي فبلغوا براسطتها ذروة الصلاح. وانما فكتني بالقول اجمالاً ان الحياة المسيحية سرت في عروق اهلها منذ حلت السيدة في ربوعهم حتى امكنهم ان يقولوا عنها ما ورد في سفر الحكمة (١١: ٧): « اوتينا منها كل صنف من الخير ونلنا من يديها غنى لا يُحصى ». ولذلك ترى سكان بكفيا قد تشربوا حبهها منذ نومة اطفالهم ينطقون باسمها الحلو في كل حاجاتهم ويلتجئون الى حمايتها في جميع امورهم من دينهم وديناهم ويحتفلون في ليلة عيدها احتفالاً يبهيجاً فيزيرون بيوتهم بالاتوار ويحيون قسا من الليل في الصلاة امامها. وقضاي القول لم تعد تحلو لهم عيشة دونها فتراهم اذا تغربوا ذكروها ونذروا لها النذور ونشروا عباتها حتى في مصر واميركة. ولما تهدد لسان النار مبدها منذ ثلاث سنوات في بهرة الليل تقاطروا جميعاً الى الدير رصفوا صلب ليلتهم في مقاومة اللهب واطفائه ولم يرجعوا حتى ائتمدوا سفير النار وخاصوا الكتيبة من الحريقين. وكان الاحداث انفسهم مع الفتيات يتعاونون قروب المياه لاطفاء النيران. اما المرضى والمعجزة فكانوا يصلون الى السيدة بالدموع الحارة بان تنجي مبعدها من هذه الحنة فأجاب الله الى دعائهم وعاملهم على حسب ايمانهم ونحن في الحتام نطلب الى سيدة النجاة ان تنقذ عبيدها من الآفات والمصائب وتنجي جبل لبنان حيث جمعت سكانها من كل الاخطار ليرقي اهلها في معارج العز والفلاح مدى كرو: الأدهار